

كتاب "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" للإمام القرطبي:
دراسة تعريفية وصفية

The Book "Reminder of The Conditions of Dead And The Affairs of Afterlife" By Imam AL-Qurtubi: An Introductory Descriptive Study

Buku "Reminder of The Conditions of Dead And The Affairs of Afterlife" Oleh Imam AL-Qurtubi: Satu Pengenalan Kajian Deskriptif

عبد الله خالد*، أحمد أسماوي**، ومحمد أبو الليث الخيرآبادي***

الملخص

مما لا شك فيه أنّ الإمام القرطبي كان من العلماء البارزين المعروفين الصالحين الزاهدين في الدنيا، ودرس على أكثر من 12 أستاذاً، وتخرج على يديه عدة تلاميذ، وله أكثر من 10 كتب ما

* طالب الدكتوراه في الحديث، قسم فقه الكتاب والسنة، كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية بماليزيا.
** أستاذ مساعد، قسم فقه الكتاب والسنة، كلية الدراسات الإسلامية، الجامعة الوطنية بماليزيا، والمشرف على رسالة الطالب، التي عنوانها "كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" للإمام القرطبي: دراسة نقدية لمائة من أحاديثه المخرجة في غير كتب الحديث الستة".
*** أستاذ الحديث، قسم دراسات الكتاب والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

بين مطبوع ومخطوط ومفقود. وأما كتاب "التذكرة" فاشتمل بين طياته على كل الأحوال التي تتعلق بالموتى والقبر نعيمه وعذابه، وما يتعلق بأمور الآخرة من البعث والنشور والنفخ في الصور، وأحوال الجنة والنار، وما يقع في آخر الزمان من الفتن والملاحم، وأشرط الساعة. واستقى المؤلف مواد الكتاب من المصادر في شتى ميادين العلم، خاصة القرآن الكريم، وكتب الحديث وعلومه، وكتب التفسير، وكتب الرقائق، وكتب الشمائل والدلائل، وكتب التاريخ، وكتب التراجم، وكتب المغازي والسير. واحتوى الكتاب على 1417 حديثاً مرفوعاً، ومن المأخذ عليه كثرة إيراد الأحاديث والأخبار الضعيفة بل الموضوعية، وكثرة الاستشهاد بالإسرائيليات والمنامات. وهو واسع الانتشار بين الخاصة والعامة، وتوصلت الدراسة إلى مدى عناية الإمام القرطبي بجانب الوعظ.

الكلمات المفتاحية: التذكرة، أحوال، الموتى، الآخرة، القرطبي.

Abstract

There is no doubt that Imām al-Qurṭubī was among the most famous, well-known, and pious scholars who preferred abstinence from the worldly life. He studied from more than 12 scholars, and produced numerous students. He has more than 10 books to his name from which some are published; some are manuscripts; and some are extinct. The book "Reminder..." comprises issues related to the dead, the grave and its bounties and its punishments, matters related to the afterlife such as the Doomsday, Resurrection, the blowing of the Trumpet, the conditions of the Heaven and the Hell, and events which will take place at the End of Time—trials, bloodshed beside, and Signs of the Hour. Al-Qurṭubī based the substance of the book on various sources of knowledge especially the Noble Qur'an, Hadith collections, Qur'anic exegeses, works on asceticism, works on the Prophet's personal biography, works on arguments, history books, biographical dictionaries, works on the Prophet's expeditions and battles. The book consists of 1417 *marfū' aḥādīth*. But most of the reports are not only weak but also fabricated; and many of the evidences are derived from Judeo-Christian traditions and dreams. The book is widespread both among general people and scholars. This study discovers Imam al-Qurṭubī's expertise on preaching.

Keywords: Reminder, the Conditions, the Dead, the Afterlife, al-Qurṭubī.

Abstrak

Tidak diragu-ragu lagi bahawa Imam al-Qurtubi adalah antara para ulama yang terkenal dan soleh, yang lebih suka menahan diri daripada kehidupan duniawi. Beliau belajar dibawah 12 lebih para ulama, dan mendapat banyak pelajar. Beliau mempunyai lebih daripada 10 buah buku yang diterbitkan diatas namanya; ada yang manuskrip; dan ada yang tidak wujud lagi. Buku "Reminder ..." terdiri daripada isu-isu yang berkaitan dengan mati, kubur dan nikmat dan hukumannya, perkara-perkara yang

berkaitan dengan akhirat seperti hari kiamat, kiamat, peniupan sangkakala, keadaan Syurga dan Neraka, dan peristiwa-peristiwa yang akan berlangsung di Akhir Zaman - ujian, pertumpahan darah, dan tanda-tanda kiamat. Al-Qurtubi berdasarkan buku daripada pelbagai sumber ilmu terutamanya al-Quran, koleksi Hadith, tafsiran al-Quran, kerja-kerja zuhud, biografi Rasul (saw), hujah, buku-buku sejarah, kamus biografi, ekspedisi dan pertempuran Rasul (saw). Buku ini terdiri daripada 1417 hadis *marfu'*. Tetapi kebanyakan laporan bukan sahaja lemah tetapi juga fabrikasi; dan banyak bukti-bukti yang diperolehi daripada tradisi dan mimpi Judeo-Kristian. Buku ini adalah berleluasa di kedua-dua kalangan rakyat umum dan para ulama. Kajian ini menerokai kepakaran Imam al-Qurtubi dalam dakwah.

Kata Kunci: Peringatan, Syarat-syarat, Yang Mati, Akhirat, al-Qurtubi.

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد! فإن موت كل ذي روح حق، وهو حقيقة ثابتة لا ينكرها أحد، صاحب دين كان أو ملحدًا، مسلماً كان أو مشركًا، يواجهه الملوك والرؤساء، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، والكبار والصغار، وسائر المخلوقات، كما قال تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران:185]. وهو مصيبة كما قال الله تعالى:

﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ [المائدة:106]. وهو أمر لا مفر منه لأحد كما قال تعالى في اليهود: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ [الجمعة:8]. ولا أحد يستطيع أن يدرأه عن نفسه كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران:168]. وأينما يكون الإنسان يدركه الموت كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء:78].

وعلى الرغم من وضوح هذه الحقيقة، فإن كثيراً من الناس يغفلون عنها ويذهلون، ولا يتنبهون لها، ويعيشون كأنهم لا يموتون. والناس في شأن الموت على ثلاثة أقسام كما قال الإمام الغزالي، وهي:

"أولاً: المنهمك في الدنيا، فلا يذكر الموت، وإن ذكره فيذكره للتأسف على دنياه، ويشغل بدمته، وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعدا.

ثانياً: التائب، فإنه يكثر من ذكر الموت؛ لينبعث به من قلبه الخوف والحشية، فيفي بتمام التوبة، وربما يكره الموت خيفة من أن يحتطفه قبل تمام التوبة، وقبل إصلاح الزاد، وهو معذور في كراهة الموت، ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم: «من كره لقاء الله كره لقاءه»¹، فإن هذا ليس يكره الموت ولقاء الله، وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره، وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب، مشتغلاً بالاستعداد للقاءه على وجه يرضاه، فلا يعد كارهاً للقاءه. وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا.

ثالثاً: العارف، فإنه يذكر الموت دائماً؛ لأنه موعد لقاؤه لحبيبه، والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب، وهذا في غالب الأمر يستبطنه محب الموت، ويجب مجيئه ليتخلص من دار العاصين، وينتقل إلى جوار رب العالمين"².

¹ روي عن عدة من الصحابة، منهم عبادة بن الصامت أخرجه البخاري البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي في الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت: دار ابن كثير واليامة، ط3، 1407هـ/1987م)، رقم، 6142 ج5، ص2386؛ ومسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري في المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله ﷺ، تحقيق: خليل مأمون شيحا، (بيروت: دار المعرفة، ط6، 1420هـ/1999م)، رقم، 2683، ج4، ص2065. وأبو موسى أخرجه البخاري، صحيحه، رقم، 6143، ج5، ص2387؛ ومسلم في صحيحه، رقم، 2686، ج4، ص2067. وأبو هريرة أخرجه مسلم في صحيحه، رقم، 2685، ج4، ص2066.

² انظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين (بيروت: دار المعرفة، د. ط، د.ت)، ج4، ص449.

وأكثر الناس في أيامنا هذه من الصنف الأول، منهمكون في دنياهم، غلبت على طبعهم الغفلة عن أمور الحياة في عالم القبر وما بعده، فهم في أمسّ الحاجة إلى التذكير بالموت وأحواله، وما يكون بعده من الحياة البرزخية وما فيها من نعيم وعذاب، ثم الحياة الآخرة وما فيها من جنة ونار.

ومن المعلوم أن الموت والحياة البرزخية وأمور الآخرة كلها من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها، ولا طريق لمعرفتها إلا الوحي، وهو ما أنزل الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، وما جاء مفصلاً في كلام النبي ﷺ، وهو المبلغ الأمين لكتاب ربه المبين. وبالنظر إلى أهمية قضية الموت وما بعده من الأحوال والأهوال لقد تصدى الإمام القرطبي (ت671هـ) لهذا الموضوع، وألف كتاباً في شأنه، بعنوان "التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة".

أهمية موضوع التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة:

تظهر أهمية هذا الموضوع من أن الحياة الدنيوية حياة زائلة، والحياة الأخروية حياة دائمة، تبدأ بعد الموت، وما من أحد منا إلا وهو يتطلع لمعرفة ماذا بعده؟ خاصة لما يتعلق بعلاقة الميت بأقاربه الأحياء، هل يعرف الميت زوّار قبره؟ وهل يحضر الميت عند موته أقاربه الموتى السابقون؟ وهل يزوره أقاربه الموتى السابقون بعد دفنه؟ وهل هم يسألونه عن أحوال أقاربهم الأحياء؟ وهل يصل إليه شيء إذا أوصله أقاربه الأحياء؟ وما شابه ذلك من الأسئلة، فهذا الكتاب جواب عن كل هذه الأسئلة، في ضوء الأحاديث والآثار التي جمعها الإمام القرطبي فيه، فبلغ الأحاديث المرفوعة فيه ألفاً وأربعمائة وسبعة عشر حديثاً، وأما الآثار فهي كثيرة جداً لا يحصى، كل هذا ما بين صحيح، وحسن، وضعيف، وموضوع، وإسرائيليات، وحكايات ساقطة.

ومن أهمية هذا البحث أيضا أنه سوف يكشف عن شخصية مختفية للإمام القرطبي، وهي شخصيته الزاهدة والواعظة. فقد قال ابن فرحون (ت799هـ): "إنه من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعينهم من أمور الآخرة، أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف"³. وبجانب هذا الكتاب له في الوعظ والزهد كتب أخرى منها: "التذكار في أفضل الأذكار"، و"قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة".

المبحث الأول التعريف الموجز بالإمام القرطبي

المطلب الأول: موجز عن حياة الإمام القرطبي وشخصيته ومكانته العلمية

اسمه ونسبه وكنيته ونسبته

هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، أبو عبد الله، الأنصاري الخزرجي، القرطبي الأندلسي⁴.

³ ابن فرحون، إبراهيم بن علي بن محمد، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ص318.

⁴ مصادر ترجمته: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط1، 1407/1987م)، ج50، ص75؛ وأحمد بن محمد التلمساني المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: د. إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، د.ط، 1388هـ)، ج2، ص211؛ وصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث، ط1، 1420/2000م)، ج2، ص87؛ وإبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج2، 308-309، رقم114؛ وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر، (القاهرة: مكتبة وهبة، ط1، 1396هـ)، ص79؛ وأبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن العماد الحنبلي، شذارات الذهب، تحقيق: محمد الأرناؤوط، (بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1412/1991م)، ج7، ص584؛ وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، (مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت)، ج3، ص52، رقم11632؛ وخير الدين الزركلي، الأعلام، (بيروت: دار العلم للملايين، ط15، 2002م)، ج5، ص322.

مولده

ولد الإمام القرطبي بقرطبة من بلاد الأندلس ونسب إليها، وأصبح أشهر عَلمٍ من أعلامها، حتى أنه كلما يُذكر القرطبي بالإطلاق فلا تلتفت الأذهان إلا إليه. ولكن لا يعرف متى ولد بالضبط، فلم يذكر المؤرخون شيئاً عنه، ولا أشاروا إلى عمره حين وفاته. ولكن قام بعض الباحثين المعاصرين بمحاولة لمعرفة تاريخ ولادته على وجه التقريب بناء على قصة مقتل والده سنة 627هـ⁵.

فتوصل الدكتور القصي محمود زلط في كتابه "القرطبي ومنهجه في التفسير" إلى أن المؤلف ولد آخر القرن السادس في عصر الموحدين في عهد الخليفة يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن (580-595هـ)⁶.

وتوصل الدكتور الصادق محمد إبراهيم-أحد محققي كتاب التذكرة- إلى أن تاريخ ولادته ما بين سنة 604هـ إلى سنة 610هـ بحجة أن المؤلف كان عمره حين وفاة والده، يتراوح بين العام السابع عشر إلى الثالث والعشرين. وهو في مرحلة طلب العلم، ويدل على ذلك ما فعله من ذهابه إلى أكثر من شيخ ليستفتيه في أمر دفن والده⁷.

نشأته

⁵ انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1427هـ/2006م)، ج5، ص412-413. وسوف تأتي تراجم شيوخه هؤلاء في "شيوخ المؤلف".

⁶ انظر: الدكتور القصي محمود زلط، القرطبي ومنهجه في التفسير (بيروت: المركز العربي للثقافة والعلوم، د.ط، د.ت)، ص8.

⁷ انظر: مقدمة تحقيقه لكتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (الرياض: مكتبة دار المنهاج، ط1، 1425هـ)، ج1، ص27.

سكنت مصادر ترجمته عن ذكر شيء عن نشأته أو عن حال أسرته، كما لم تذكر لنا شيئاً عن حياته العلمية في محيط أسرته كما هي عادة أهل ذلك العصر. أما عمله في شبابه فقد ذكر المؤلف شيئاً منه في "التذكرة" حيث قال: "ولقد كنت في زمن الشباب، أنا وغيري ننقل التراب على الدواب من مقبرة عندنا، تسمى بمقبرة اليهود خارج قرطبة، وقد اختلط بعظام من هناك وعظمتهم ولحومهم وشعورهم وأبشارهم، إلى الذين يصنعون القرمذ للسقف"⁸.

وفاته

توفي -رحمه الله- في ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة 671هـ بمنية بني خصيب بمصر.⁹

مكانة المؤلف العلمية وثناء العلماء عليه

أثنى على المؤلف علماء كثيرون ونقلوا عنه. ومن هؤلاء: الإمام الذهبي الذي قال عنه: "إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله. وقد سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان؛ وهو كامل في معناه. وله كتاب «الأسنى في الأسماء الحسنى»، وكتاب «التذكرة»، وأشياء تدل على إمامته وذكائه وكثرة اطلاعه"¹⁰. والمقرئزي نقلاً عن الحافظ عبد الكريم: "إنه كان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين، الورعين الزاهدين في الدنيا، المشتغلين بما يعينهم من أمور الآخرة فيما

⁸ القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص30.

⁹ المقرئ، نفع الطيب، ج2، ص211، رقم122؛ وابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص309، رقم114؛ والصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص87.

¹⁰ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص74-75، رقم26.

بين توجه وعبادة". ثم قال: "وكان مطرح التكلف، يمشي بثوب واحد؛ وعلى رأسه طاقية. وفي تاريخ الكتبي في حقه ما نصه: كان شيخا فاضلا، وله تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور علمه، منها تفسير القرآن، مليح إلى الغاية، اثنا عشر مجلدا". ونقل عن الذهبي أنه قال: "رحل وكتب وسمع، وكان يقظا فهما، حسن الحفظ، مليح النظم، حسن المذاكرة، ثقة حافظا"¹¹. وقال ابن العماد: "وكان إماما علما، من الغواصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل"¹².

شيوخ المؤلف

تلقى العلم من عدد من الشيوخ في قرطبة ومصر، ومن هؤلاء:

1- ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن، أبو سليمان الأشعري، القرطبي وقاضيها. قال ابن الأبار: "وكان رجلا صالحا عدلا في أحكامه، نبيه القدر والبيت، حدث ييسير. وخرج من وطنه لما استولى الروم عليه يوم الأحد الثالث والعشرين لشوال سنة 633هـ، فنزل إشبيلية، وبها توفي فيما بلغني على إثر ذلك، ومولده في ذي القعدة سنة 569هـ"¹³.

2- عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي أبو محمد، ابن أبي الثناء اللخمي الإسكندراني. فقيه مالكي، صوفي ضرير، ولد سنة 563هـ بالإسكندرية وعاش فيها،

¹¹ ذكره المقرئ في نفع الطيب، ج2، ص210-211، رقم122.

¹² ابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص585.

¹³ أبو عبيد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق: عبد السلام الهراس، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1415هـ/1995م)، ج1، ص260-261، رقم892؛ والذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص146، رقم169.

وكان له فيها رباط مشهور به. وتوفي سنة 638هـ بمكة ودفن بالمعلی¹⁴. وذكر الإمام الذهبي أنه عاش 75 سنة، وتوفي في أواخر ذي الحجة بمكة¹⁵.

3- أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري. قال ابن فرحون: "العالم الجليل، المحدث الحافظ، واحد عصره، وفريد دهره، وكان رحمه الله تعالى عالماً من أعلام الأندلس، ناصرًا للسنّة، رادعًا لأهل الأهواء، متكلمًا دقيق النظر، سديد البحث، سهل المناظرة، شديد التواضع، كثير الإنصاف، مع هيبة ووقار وسكون. ولي قضاء الجماعة بقرطبة ثم بغرناطة، وأقرأ بغرناطة لأكابر علمائها الحديث والأصلين وغير ذلك، وتوفي سنة سبع أو ثمان وثلاثين وستمائة"¹⁶. وقال لسان الدين ابن الخطيب: "وفاته بمالقة سنة سبع وثلاثين وستمائة"¹⁷. وقال ابن الأبار: "وتوفي بمالقة مصروفًا لفالج أصابه وأقعده بداره سنة 640هـ. وكان مولده سنة 563هـ. وقال أبو حيان: إنه توفي سنة 639هـ"¹⁸.

5- أحمد بن محمد بن محمد أبو جعفر القيسي القرطبي النحوي المقرئ المعروف بابن أبي حجة¹⁹. سكن إشبيلية بعد خروجه من قرطبة، وأسرتّه الروم في البحر، وامتنحن بالتعذيب، وتوفي على إثر ذلك بمُنورقة²⁰ في سنة 643هـ²¹.

¹⁴ الزركلي، الأعلام، ج 4، ص 155.

¹⁵ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 46، ص 370.

¹⁶ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج 1، ص 176.

¹⁷ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: بوزيانى الدراجي، (الجزائر: دار الأمل للدراسات، ط 1، 2009م)، ج 2، ص 192.

¹⁸ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلة، ج 4، ص 192، رقم 548؛ والذهبي، تاريخ الإسلام، ج 46، ص 458.

¹⁹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج 10، ص 434؛ وأبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسي، الخامس

من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ط 1،

1965م)، ج 2، ص 585، رقم 1154.

²⁰ مُنورقة: بالفتح ثم الضم وسكون الواو وفتح الراء وقاف، جزيرة عامرة في شرقي الأندلس. ياقوت الحموي، ياقوت

بن عبد الله، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، د.ط، 1397هـ/1977م)، ج 5، ص 216.

- 6- ابن رواج، المحدث المسند رشيد الدين عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح ابن أبي الحسين بن إبراهيم، أبو محمد بن رواج، وهو لقب أبيه، الأزدي، القرشي، الإسكندراني، المالكي، الجَوْشَنِي. ولد سنة 554هـ، وتوفي سنة 648هـ²².
- 7- ابن الجُمَيْزِي، شيخ الديار المصرية العلامة المفتي المقرئ بماء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن سلامة بن المسلم اللخمي المصري الشافعي. ولد يوم عيد الأضحى بمصر سنة 559هـ، وتوفي في ذي الحجة سنة 649هـ، ودفن بسفح المقطم²³.
- 8- أحمد بن عمر بن إبراهيم بن عمر أبو العباس الأنصاري، الأندلسي ثم القرطبي المالكي الفقيه عرف بابن المزين، يلقب بضياء الدين، من أعيان فقهاء المالكية، والأئمة المشهورين، والعلماء المعروفين، جامعاً لمعرفة علوم، وله على كتاب صحيح مسلم

²¹ ابن الآبار، التكملة لكتاب الصلوة، ج1، ص107-108، رقم307؛ والذهبي، تاريخ الإسلام، ج47، ص155، رقم148؛ وأبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني، نزهة الألباب في الألقاب، تحقيق: عبد العزيز بن محمد بن صالح السديدي، (الرياض: مكتبة الرشد، ط1، 1409هـ/1989م).

²² أبو بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة، تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1410هـ)، ج2، ص691، رقم1796 ورقم2532؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: د. بشار عواد معروف، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1410هـ/1985م)، ج23، ص237، رقم156؛ والصفدي، الوافي بالوفيات، ج19، ص202، رقم7408؛ والفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج2، ص159، رقم1348.

²³ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص253، رقم166؛ وأبو السعادات عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ/1997م)، ج4، ص92؛ وأبو الخير محمد بن محمد ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط3، 1402هـ/1982م)، ج1، ص583، رقم2366؛ وأبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تحقيق: عبد العليم خان، (بيروت: عالم الكتب، ط1، 1407هـ)، ج2، ص118، رقم417.

شرح أحسن فيه وأجاد، سماه المفهم. ولد بقرطبة سنة 578هـ، وتوفي بالإسكندرية في اليوم الرابع من ذي القعدة سنة 656هـ²⁴.

9- ابن قطرال، القاضي العلامة القدوة أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن يوسف الأنصاري القرطبي المالكي. ولد سنة 563هـ، وتوفي سنة 651هـ²⁵.

10- ابن رواج، المحدث المسند رشيد الدين عبد الوهاب بن ظافر بن علي بن فتوح ابن أبي الحسين بن إبراهيم، أبو محمد بن رواج، وهو لقب أبيه، الأزدي، القرشي، الإسكندراني، المالكي، الجَوْشَنِي. ولد سنة 554هـ، وتوفي سنة 648هـ²⁶. روى عنه المؤلف في كتاب التذكرة في عدد من المواضع²⁷.

11- ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري من أهل قرطبة وقاضيتها ويكنى أبا سليمان. ذهب إليه المؤلف عند مقتل أبيه ليستفتي منه في شأن دفنه فقال: "ثم سألت شيخنا ربيع بن عبد الرحمن بن أحمد بن ربيع بن أبي"²⁸.

²⁴ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العبر في خير من غير، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت)، ج3، ص278؛ وبدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1407هـ/1987م)، ج1، ص190؛ وجمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1413هـ/1992م)، ج2، ص44، رقم229.

²⁵ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص304-305؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص438.

²⁶ أبو بكر محمد بن عبد الغني ابن نقطة، تكملة الإكمال، تحقيق: عبد القيوم عبد رب النبي، (مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط1، 1410هـ)، ج2، ص691، رقم1796 ورقم2532؛ والذهبي، سير أعلام النبلاء، ج23، ص237، رقم156؛ والفاسي، ذيل التقييد في رواية السنن والأسانيد، ج2، ص159، رقم1348؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج7، ص418.

²⁷ القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص108، و180، و336، و359.

²⁸ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص413.

وقال ابن الأبار: "وكان رجلا صالحا عدلا في أحكامه، نبه القدر والبيت، حدث بيسير. وخرج من وطنه لما استولى الروم عليه يوم الأحد الثالث والعشرين لشوال سنة 633هـ، فنزل إشبيلية وبها توفي فيما بلغني على إثر ذلك، ومولده في ذي القعدة سنة 569هـ"²⁹.

12- المنذري، أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله بن سلامة بن سعد، الحافظ الكبير الإمام الثبت، شيخ الإسلام زكي الدين، الشامي ثم المصري. توفي في ذي القعدة سنة 656هـ، وكان مولده في شعبان سنة 581هـ³⁰. نص المؤلف على أنه شيخه في تفسيره³¹.

12- أبو محمد عبد المعطي بن محمود بن عبد المعطي اللخمي الإسكندراني. كان المؤلف نص على أنه شيخه في عدة مواضع في تفسيره³². ترجم له الذهبي في تاريخ الإسلام، وذكر فيه أنه عاش خمسا وسبعين سنة، وتوفي في أواخر ذي الحجة بمكة، ولم يذكر شيئا من تاريخ مولده ولا تاريخ وفاته³³.

²⁹ ابن الأبار، التكملة لكتاب الصلاة، ج1، ص260-261، رقم892؛ والذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص146، رقم169.

³⁰ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ/1998م)، ج4، ص153، رقم1144؛ وصلاح الدين محمد بن شاکر بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد الداراني الدمشقي الكتي، فوات الوفيات، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت: دار صادر، ط1، 1974م)، ج2، ص366؛ وأبو الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير، البداية والنهاية، (جيزة: دار هجر، ط1، 1419هـ/1998م)، ج13، ص245.

³¹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج10، ص16.

³² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص362.

³³ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج46، ص370.

تلاميذ المؤلف

كنت أتوقع أن أمثال الإمام القرطبي سوف يسعد بتلاميذ كثيرين، وذلك لشهرته وطيبة سمعته، ولكن خاب أمني، فلم أتمكن من جمعهم إلا عددا قليلا جداً، وهم:

- 1- ابنه شهاب الدين أحمد. لم أقف على ترجمة له، وإنما ذكر الإمام السيوطي في ترجمة المؤلف قائلاً: "روى عنه بالإجازة ولده شهاب الدين أحمد"³⁴.
- 2- ابن الزبير، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم بن زبير بن عاصم الثقفي العاصمي الغرناطي النحوي. وصفه الذهبي بـ"الإمام الحافظ العلامة شيخ القراء والمحدثين بالأندلس"³⁵. وقال ابن فرحون: "كان خاتمة المحدثين، وصدور العلماء والمقرئين، نسيج وحده في نشر التعليم والصبر على التسميع والملازمة للتدريس، كثير الخشوع والخشية، مسترسل العبرة، صليماً في الحق، شديداً على أهل البدع، ملازماً للسنن، مهيباً جزلاً، معظماً عند الخاصة والعامة، انتهت إليه الرياسة بالأندلس في صناعة العربية وتجويد القرآن ورواية الحديث، إلى المشاركة في الفقه، والقيام على التفسير، والخوض في الأصول"³⁶. وقال الأوسى في ترجمة الإمام القرطبي: "حدثنا عنه أبو جعفر بن الزبير، كتب إليه من مصر". وولد ببيان سنة 627هـ، وتوفي سنة 708هـ، وله ثمانون سنة³⁷.

³⁴ السيوطي، طبقات المفسرين، ص 79.

³⁵ الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 4، ص 183، رقم 1169.

³⁶ ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ج 1، ص 60.

³⁷ الأوسى، السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ج 2، ص 585، رقم 1154؛ والذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 4، ص 183، رقم 1169؛ وابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، (حيدر اباد بالهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط 2، 1392هـ/1972م)، ج 1، ص 96، رقم 232؛ وابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء، ج 1، ص 32، رقم 132؛ والفاسي، ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، ج 1، ص 289، رقم 577؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج 8، ص 31.

3- إسماعيل بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرساني، الصدر شرف الدين أبو الفداء الأنصاري. الشيخ الجليل العدل الفقيه الأصيل، ولد في شهر رجب سنة 639هـ بالجويرة بدمشق، وتوفي في المحرم سنة 709هـ، وذكر الصفدي وابن حجر أنه سمع من القرطبي³⁸.

مصنفات المؤلف

ألف الإمام القرطبي عدة كتب قيمة، وهي تدل على دقته، وحسن ترتيبه، ووفرة علمه، وقدرته على التأليف بأوضح أسلوب وأجمله وأسهله. وأبرز مؤلفاته المطبوعة أو المخطوطة على النحو الآتي:
فمن مؤلفاته المطبوعة:

- 1- "كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفات الله العلي". مطبوع في مجلدين.
- 2- "التذكار في فضل الأذكار". له طبعات عديدة، منها طبعة دار الكتب العلمية 1406هـ/1986م.
- 3- "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة". سوف نتحدث عنه مفصلاً في المبحث الثاني إن شاء الله.
- 4- "الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمن من السنة وآي الفرقان". وهو تفسيره، ومطبوع عدة طبعات. وهو من أهم مآثره العلمية. قال الذهبي: "سارت بتفسيره العظيم الشأن الركبان، وهو كامل في معناه". وقال الصفدي: "وقد سارت بتفسيره الركبان، وهو تفسير عظيم في بابه". وقال ابن فرحون: "جمع في تفسير القرآن كتاباً كبيراً في اثني عشر مجلداً، سماه...، وهو من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط

³⁸ الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر، ج1، ص522، رقم269؛ وابن حجر، الدرر الكامنة، ج1، ص451، رقم956.

منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن واستنباط الأدلة وذكر القراءات والإعراب والناسخ والمنسوخ"³⁹.

5- "قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذلّ السؤال بالكسب والصناعة". بهذا الاسم سماه المؤلف في تفسيره⁴⁰. ولكن الكتاب طبع بعنوان "قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذلّ السؤال بالكتب والشفاعة". وجاء في كتاب الإيضاح باسم "بالكف والشفاعة"⁴¹. ويبدو لي أن الصواب: "بالكسب والصناعة" كما قال المؤلف لذلك اعتمادنا. ويحتمل وقوع ذلك التصحيف؛ لصعوبة قراءة خطّ مخطوطة الكتاب كما قال مجدي فتحي السيد أحد محققي الكتاب⁴²، ومسعد عبد الحميد محمد السعدي محقق آخر للكتاب⁴³. وجاء ذكره في كتاب "التذكرة" مما يدل على أنه ألفه قبلها. ولكن جاء اسمه مختصراً هكذا: "وقد ذكرناه بكماله في آخر كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة"، ولم يذكر شيئاً عن التذكرة في قمع الحرص⁴⁴.

ومن مؤلفاته المخطوطة:

وهذه الكتب مما أحال أو أشار إليه المؤلف في مصنفاته خاصة في تفسيره، والتذكرة، أو ذكرها أصحاب كتب التراجم، منها:

³⁹ الذهبي، تاريخ الإسلام، ج50، ص75؛ والصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص87؛ وابن فرحون، الديباج المذهب، ج8، ص309.

⁴⁰ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص16.

⁴¹ إسماعيل باشا الباباني، إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج4، ص241.

⁴² أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، قمع الحرص بالزهد والقناعة، تحقيق: مجدي فتحي السيد، (طنطا: دار الصحابة للتراث، ط1، 1409هـ/1989م)، ص11.

⁴³ المصدر السابق، تحقيق: مسعد عبد الحميد محمد السعدي، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1414هـ/1994م)، ص6-7.

⁴⁴ القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص296.

- 1- "الأقضية". قال كارل بروكلمان عند ذكر هذا الكتاب للقرطبي: "انظر فهرس مكتبة آصفية ح 1 ص 658"⁴⁵. وهذه المكتبة بجيدر آباد في الهند.
- 2- "الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه الصلاة والسلام". ذكر مشهور سلمان: توجد منه نسخة خطية في مكتبة طوب قاي بإستانبول⁴⁶.
- 3- "التقريب لكتاب التمهيد". قال الزركلي: إنه في مجلدين ضخمين في خزانة القرويين بفاس (الرقم 117/80)⁴⁷.
- 4- "رسالة في ألقاب الحديث". ذكر بروكلمان أنها توجد بمكتبة الجزائر برقم 377⁴⁸.
- 5- "المصباح في الجمع بين الأفعال والصحاح". ذكره بروكلمان ضمن مؤلفات القرطبي وقال: "جمع فيه كتاب الأفعال لابن القطاع ص 540 والصحاح للجوهري بعد حذف الشواهد". ويوجد بمكتبة بريل بليدن بهولندا برقم 283⁴⁹. بجانب كتب أخرى جاء ذكرها في بعض كتبه، وكتب ترجمته.

المطلب الثاني: عناية المؤلف بجانب الوعظ والتذكير

اهتم الإمام القرطبي بجانب الوعظ والتذكير اهتماما كبيرا، عملا بقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ

⁴⁵ كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، نقله إلى العربية: عبد الخليم النجار، (لندن: Routledge & Kegan Paul، ط2، 1968-1969م)، ج7، ص218.

⁴⁶ مشهور حسن محمود سلمان، الإمام القرطبي شيخ أئمة التفسير، وهو الكتاب الواحد والأربعون من سلسلة أعلام المسلمين، (دمشق: دار القلم، ط1، 1423هـ/1993م)، ص148.

⁴⁷ الزركلي، الأعلام، ج5، ص322.

⁴⁸ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج7، ص218.

⁴⁹ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج7، ص218.

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ [آل عمران:104]. وتستشف عنايته هذه من مصنفات المؤلف الخاصة في شأن المواعظ، حيث كتب المؤلف كتابين، وهما: "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"، و"قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذلّ السؤال بالكسب والصناعة". أما "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" فيأتي الكلام عنه في موضعه إن شاء الله.

وأما كتاب "قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذلّ السؤال بالكسب والصناعة" فقال ابن فرحون فيه: "لم أقف على تأليف أحسن منه في بابهِ"⁵⁰. يتكلم فيه المؤلف عن أشد الأمراض فتكا وذلا التي أصابت قلب الإنسان عبر الزمان، وهو الحرص على الدنيا، وجمع المال بالتسول ليل نهار، ولا يقنع بالرزق الذي أعطاه ربه قليلا كان أو كثيرا، ونسيان الموت والآخرة. ولما لاحظ المؤلف هذا الوضع الويل حاول في هذا الكتاب معالجة هذا الداء الخطير الذي حدده بثلاثة أمور، وهي: قصر الأمل في الدنيا، والقناعة، والزهد، وعالج ذلّ السؤال بالحث على الكسب والصناعة. وبين المؤلف في مقدمته منهجه فقال: "جعلته أربعين بابا، كل باب الحديث والحديثين والثلاثة، ثم عقب ذلك بالتفسير والتبيان، لتكامل فائدته، وتعظم منفعته"⁵¹.

ونود هنا أن نلمح بمفهوم الزهد عند المؤلف، وذلك بالنظر إلى مظهره لأنه تجافى عن التكلف، وكان يمشي بثوب واحد. ولم يذكر المؤلف في هذا الكتاب شيئا عن معنى الزهد الاصطلاحي، وإنما عثرنا على أنه تصدى لمعنى الزهد في تفسيره، عند تفسيره آية: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الكهف:7] فقد ذكر تسعة أقوال للعلماء فيه. ثم اختار القول الراجح عنده، وهو قول سفيان الثوري أن الزهد "قصر الأمل، وليس بأكل الخشن ولبس العباء"⁵². ومنه نعرف معنى الزهد

⁵⁰ ابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص309.

⁵¹ القرطبي، قمع الحرص بالزهد والقناعة، ص15.

⁵² القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص209.

الاصطلاحية عند المؤلف، وهو أن الزهد لا يقصد منه تحريم الطيبات على نفسه وعيشه كما يفعل بعض المتصوفين الذين قالوا: إن التمتع بالطيبات ينافي الزهد. أما قوله: إن الزهد "ليس لبس العباء" فليس فيه تعارض مع ما وصفه به المؤرخون من أنه اطرح التكلف بمشي بثوب واحد، وعلى رأسه طاقية؛ لأن أهل الأندلس كما وصف المقرئ "أشدّ خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائماً، ويتعاق صابوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها"⁵³. فيصور المقرئ أن الإنسان الأندلسي يبالغ في العناية بمظهره، وأراد أن القرطبي خالفهم في ذلك، ولم يكن يبالغ في العناية بمظهره كما هي عادة الأندلسيين، ومن هنا قال المؤرخون بأنه "طرح التكلف"⁵⁴.

تصوير المؤلف للأوضاع الاجتماعية في مصر

ليس من مقصودنا هنا إيراد جميع الجوانب الاجتماعية في مصر في عصر القرطبي، وإنما نقتصر على تلك الأوضاع التي دفعت المؤلف إلى تسجيلها في كتبه ككتابه التذكرة وتفسيره، بيانا لعدم رضاه عن فشو المعاصي والمنكرات والفساد، ودليلاً على اعتناؤه بصورة متواصلة بجانب الوعظ وشدة حرصه على الدين.

ومن أمثلة تلك الأوضاع في تفسيره ما يلي:

"قال ابن العربي: ... وأما الأسواق فسمعت مشيخة أهل العلم يقولون: لا يدخل إلا سوق الكتب والسلاح...". وعقب عليه المؤلف: "قلت: ما ذكرته مشيخة أهل العلم فنعما هو؛ فإن ذلك خال عن النظر إلى النسوان ومخالطتهن؛ إذ ليس بذلك من حاجتهن. وأما غيرها من الأسواق، فمشحونة منهن، وقلة الحياء قد غلبت عليهن،

⁵³ المقرئ، نفع الطيب، ج 1، ص 223.

⁵⁴ انظر: محمود زلط القصبي، القرطبي ومنهجه في التفسير، ص 36.

حتى ترى المرأة في القيساريات وغيرها قاعدة متبرجة بزینتها، وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا. نعوذ بالله من سخطه" ⁵⁵.

وقال في موضع آخر: "هذا الانحاء والتكفي الذي نُسِحَ عنا قد صار عادة بالديار المصرية وعند العجم، وكذلك قيام بعضهم إلى بعض حتى إن أحدهم إذا لم يُقَمَّ له، وجدَ في نفسه كأنه لا يُؤْبَهُ به، وأنه لا قَدَرَ له، وكذلك إذا التَّقُوا نحنُ بعضهم لبعض، عادة مستمرة ووراثة مستقرة، لا سيما عند التقاء الأمراء والرؤساء، نكَّبوا عن السَّنِّ وأعرضوا عن السَّنِّ" ⁵⁶.

وقال أيضا: "أما دخول الحمام في هذه الأزمان فحرام على أهل الفضل والدين؛ لغلبة الجهل على الناس واستسهالهم إذا توسَّطوا الحمام رَمِي مآزرهم، حتى يُرى الرجل البهيّ ذو الشيبة قائما منتصبا وسط الحمام وخارجه باديا عن عورته، ضامًا بين فخذيه ولا أحد يغيّر عليه. هذا أمر بين الرجال، فكيف من النساء، لا سيما بالديار المصرية، إذ حماماتهم خالية عن المظاهر التي هي من أعين الناس سواتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم" ⁵⁷.

وعلق المؤلف على قوله ﷺ: «أسرعوا بالجنائز، فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن يك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم» ⁵⁸: "لا كما يفعله اليوم الجهال في المشي رويدا، والوقوف بها المرة بعد المرة، وقراءة القرآن بالألحان، إلى ما لا يحل ولا يجوز، حسب ما يفعله أهل الديار المصرية بموتاهم" ⁵⁹.

⁵⁵ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص388-389.

⁵⁶ المصدر السابق، ج11، ص457.

⁵⁷ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج15، ص206.

⁵⁸ أخرجه البخاري، في صحيحه، كتاب الجنائز، باب السرعة بالجنائز، رقم1252، ج1، ص442؛ ومسلم في

صحيحه، كتاب الجنائز، باب الإسراع بالجنائز، رقم2183، ج7، ص15.

⁵⁹ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص452.

وهذه هي صورة المجتمع المصري في ذلك الوقت، وبث المؤلف شكواه لمخالفتها الشرع، وما نقل إلينا هو دليل على عنايته البالغة بجانب الوعظ.

المبحث الثاني التعريف بكتاب "التذكرة" ومنهج المؤلف فيه المطلب الأول: التعريف بكتاب التذكرة تسمية الكتاب ونسبته إلى المؤلف

نص المؤلف على اسم الكتاب في مقدمته فقال: "وسميته: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"⁶⁰. وهذا العنوان الكامل ذكره المؤلف نفسه في خمسة مواضع من تفسيره. أما نسبة الكتاب إلى المؤلف فليس فيها شك لذكر المؤلف إياه في أكثر من مائة موضع في تفسيره، وكذلك نسبه إليه جماعة من أهل العلم، ومن هؤلاء الذهبي في تاريخ الإسلام، والمقري في نفع الطيب، والصفدي في الوافي بالوفيات، وابن فرحون في الديباج المذهب، والسيوطي في طبقات المفسرين، وابن العماد في شذرات الذهب، وحاجي خليفة في كشف الظنون، والزركلي في الأعلام⁶¹. وعرف حاجي خليفة هذا الكتاب بقوله: "وهو كتاب مشهور، في مجلد ضخيم، جمع من كتب الأخبار والآثار ما يتعلق بذكر الموت والموتى، والحشر، والجنة، والنار، والفتن، والأشراط، وبوب أبوابا، وجعل عقيب كل باب فصلا، ذكر فيه ما يحتاج إليه

⁶⁰ القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص7.

⁶¹ انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام، ج5، ص75؛ والمقري، نفع الطيب، ج2، ص211؛ والصفدي، الوافي بالوفيات، ج2، ص87؛ وابن فرحون، الديباج المذهب، ج2، ص309؛ والسيوطي، طبقات المفسرين، ص79؛ ومصطفى بن عبد الله الحنفي حاجي خليفة، كشف الظنون (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت)، ج1، ص390؛ والزركلي، الأعلام، ج5، ص322.

من بيان غريب، وإيضاح مشكل، وسماه "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة"، ومختصره لبعض العلماء⁶².

السبب الباعث على تأليف الكتاب

لم يذكر المؤلف عن السبب الدافع له إلى تأليف الكتاب، بيد أن الظاهر أنه نتيجة ملاحظته أحوال المسلمين في زمنه، عندما انشغلوا بأمور الدنيا واهتموا بها غاية الاهتمام، الأمر الذي أدى بهم حتما إلى النسيان وإهمال ذكر الموت والغفلة عن أمور الآخرة. وجاءت هذه الملاحظة بصورة واضحة في ثنايا الكتاب، حيث ذكر المؤلف أحداثا متعددة حدثت في الأندلس وفي مصر، وإضافة إلى ما ذكرنا سابقا نذكر أحداثا أخرى ذكرها المؤلف، منها قوله في ص590: "وأما ظهور الزنا فذلك مشهور في كثير من الديار المصرية. من ذلك مأثور، ومن ذلك إظهار الخمر والمأخوذ... وأما قلة العلم وكثرة الجهل فذلك شائع في جميع البلاد، ذائع أعني برفع العلم وقلة ترك العمل به". وعلق المؤلف على قول الحسن البصري في ص50: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار"، فقال المؤلف: "هذا مقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يُرى فيه الإنسان مكبا على الظلم، حريصا عليه لا يقلع والسبحة في يده زاعما أنه يستغفر من ذنبه. وذلك استهزاء منه واستخفاف وهو ممن اتخذ آيات الله هزوا وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزْوًا﴾ [البقرة:321]".

ووجدنا أيضا في ص517، "باب في الأمر بلزوم البيوت عند الفتن" أنه كان يعلق على موقف بعض الصحابة والتابعين الذين اجتنبوا الفتنة والقتال فقال: "هذا، وكانت تلك الفتنة والقتال بينهم على الاجتهاد منهم، فكان المصيب منهم له أجران، والمخطئ له أجر، ولم يكن قتال على الدنيا. فكيف اليوم الذي تسفك فيه الدماء باتباع

⁶² حاجي خليفة، كشف الظنون، ج1، ص390.

الهوى طلبا للملك والاستكثار من الدنيا، فواجب على الإنسان أن يكف اليد واللسان عند ظهور الفتن ونزول البلايا والحن، نسأل الله السلامة والفوز بدار الكرامة".

ولما كان المؤلف ممن يهتم بجانب ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة:54] وهو ممن يتحرى الحق صرح أن بعض الحكام في زمانه حادوا عن طريق الحق. فقال في التذكرة ص584: "هذا هو ذلك الزمان الذي قد استولى فيه الباطل على الحق، وتغلب فيه العبيد على الأحرار من الخلق، فباعوا الأحكام ورضي بذلك منهم الحكام فصار الحكم مكسا والحق عكسا لا يوصل إليه، ولا يقدر عليه بدلوا دين الله وغيروا حكم الله سماعون للكذب أكالون للسحت ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْكُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة:44]" ثم قال المؤلف: "ولقد أحسن ابن المبارك حيث يقول في أبيات له: وهل أفسد الدين إلا الملوك وأخبار سوء ورهبانها".

ولعل المثال الصارخ على ذلك ما يكون في زمان القاضي بدر الدين الكردي السنجاري الذي توفي سنة 663هـ، حيث قال ابن كثير في ترجمته: "باشر القضاء بمصر مرارا توفي بالقاهرة. قال أبو شامة: وسيرته معروفة في أخذ الرشا من قضاة الأطراف والمتحاكمين إليه"⁶³.

ثم في كتاب التذكرة أيضا تنبيه من المؤلف على بعض المعتقدات التي كانت من الجاهلية حول الجنائز، إلا أن المسلمين اليوم يعملها ويمارسها كأنها سنة مثل الطعام الذي يصنعه أهل الميت في اليوم السابع، قال المؤلف محذرا منها: "وهذه الأمور كلها قد صارت عند الناس الآن سنة وتركها بدعة، فانقلب الحال وتغيرت الأحوال". وذلك في ص105، "باب الوقوف عند القبر قليلا بعد الدفن والدعاء بالثبوت له". ومن جراء هذه الأحداث الشنيعة وبما أن الله عَزَّوَجَلَّ قد كلف أهل العلم بمسؤولية البيان، سعى المؤلف لتأليف هذا الكتاب محاولة منه في ترقيق قلوبهم وتركيب نفوسهم.

⁶³ ابن كثير، البداية والنهاية، ج17، ص463

الغرض من تأليف الكتاب

أشار المؤلف إلى هدفه من تأليف التذكرة في مقدمته فقال: "فإني رأيت أن أكتب كتاباً وجيزاً، يكون تذكرةً لنفسي، وعملاً صالحاً بعد موتي، في ذكر الموت، وأحوال الموتى، وذكر الحشر والنشر، والجنة والنار، والفتن والأشراط"⁶⁴.

تاريخ تأليف الكتاب

لم يصرح المؤلف بتاريخ تأليف "التذكرة"، ولكن يظهر لنا من خلال تأملنا في الكتاب وقراءتنا له أن المؤلف ألفه بعد هجرته إلى مصر، وبعد استيلاء الكفار على بلاد الأندلس. وهذا ظاهر من كثرة ذكر المؤلف للأحداث التي حدثت في بلاده، والتي تتضمن قصص معاناة أهل بلده عندما استولى عليها العدو⁶⁵. وكان المؤلف في كتابه كلما تصدى لذكر "قرطبة" فإنه قرنه بقوله "أعادها الله" مما يدل على أن بلاد الأندلس في ذلك الوقت كانت في أيدي الكفار وتمنى المؤلف عودها إلى المسلمين⁶⁶. ثم هناك احتمال في أن يكون التأليف بعد سنة 658هـ أو بدأ به قبلها بقليل وأكمله بعدها. ويقوي ذلك ما ذكره المؤلف فيه عن وقعة عين جالوت، وهذه الوقعة قد اتفق الأئمة على أنها وقعت في سنة 658هـ⁶⁷. وبناء عليه نستطيع أن نقول إن المؤلف ألف الكتاب خلال هذه السنة.

⁶⁴ القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص7.

⁶⁵ انظر: القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، باب أمور تكون بين يدي الساعة، ص581، وفي باب ولاية آخر الزمان وصفتهم وفيمن ينطق في أمر العامة، ص592، و595.

⁶⁶ انظر: القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، باب يختار للميت قوم صالحون يكون معهم، ص95، وفي باب أمور تكون بين يدي الساعة، ص590.

⁶⁷ ابن كثير، البداية والنهاية، ج13، ص266؛ والصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص208.

موضوع الكتاب

إن اسم الكتاب دال على مسماه حيث إنه اشتمل بين طياته على كل الأحوال التي تتعلق بالموتى والقبر نعيمه وعذابه، وما يتعلق بأمر الآخرة من البعث والنشور والنفخ في الصور، وأحوال الجنة والنار، وما يقع في آخر الزمان من الفتن والملاحم، وأشراط الساعة. وقد جعله المؤلف في أربعة أقسام: القسم الأول شمل الموت ومقدماته، ثم القبر وعذابه ونعيمه وما ينجي منه إلى نفخ البعث. والقسم الثاني يبدأ بالبعث والنشور والنفخ في الصور، والحشر وينتهي بالموقف وأهواله وما ينجي منه. والقسم الثالث في دخول أهل الجنة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم المقيم، وفي دخول أهل النار النار وما أُعدَّ لأهلها من العذاب الأليم. والقسم الرابع خصصه لذكر ما يكون بين يدي الساعة من الفتن والملاحم، ومن العلامات والأشراط.

ونلاحظ أيضا أن موضوع كتاب التذكرة يشبه إلى حد كبير كتاب العاقبة في ذكر الموت والآخرة لأبي محمد عبد الحق الأشبيلي (ت582هـ)، بل إذا دققنا النظر نرى المؤلف قد تابع أبا محمد عبد الحق في كثير من عناوين أبواب كتابه وروايات وحكايات الوعظ والرقائق، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نلاحظ أن عنوان الكتاب "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة" ما هو إلا تغيير يسير لعنوان كتاب عبد الحق الأشبيلي "العاقبة في ذكر الموت والآخرة". ومن ثم جعله المؤلف من المصادر المتخصصة في مادة كتابه.

مكانة الكتاب بين الخاصة والعامة:

لقد سمت مكانته بين الخاصة والعامة، وجل المؤلفات في هذا الباب تعتمد عليه، وهو بلا منازع مؤلف فريد في نوعه، وذلك لأن المؤلف ألفه؛ وهو على بصيرة وعلم بأحوال الناس في زمنه، من أن منهم من أحب الأموال، واهتم بها كل الاهتمام،

وطوّل الأمل بسببها، وبالتالي لم يحرص على العبادة، وأهمل الأمور التي تتعلق بالآخرة. فقال المؤلف حكاية عنهم: "لقد حكى لنا أن بعض السماسرة جاء عنده الموت فقيل له: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: ثلاثة ونصف، أربعة ونصف، غلبت عليه السمسرة. ولقد رأيت بعض الحسّاب وهو في غاية المرض يعقد بأصابعه ويحسب، وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: الدار الفلانية أصلحوا فيها كذا، والجنان الفلاني اعملوا فيه كذا. وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: عقلك الحمار. وقيل لآخر: قل: لا إله إلا الله، فجعل يقول: البقرة الصفراء، غلب عليه حبها والاشتغال بها. نسأل الله السلامة والممات على الشهادة بمنه وكرمه". وفي موضع آخر يعظ المؤلف في أن الأعمال بالحوثيم. وأتى برواية وعظيمة ليعتبر بها القراء: "ويروى أنه كان بمصر رجل ملتزم مسجدا للأذان والصلاة، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة، فرقي يوما المنارة على عادته للأذان، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي، فاطلع فيها، فرأى ابنة صاحب الدار فافتتن بها، وترك الأذان ونزل إليها، ودخل الدار فقالت له: ما شأنك؟ ما تريد؟ فقال: أنت أريد، قالت: لماذا؟ قال لها: قد سلبت لي وأخذت بمجامع قلبي. قالت: لا أجيبك إلى ريبة، قال لها: أتزوجك. قالت له: أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبي لا يزوجني منك، قال لها: أنت نصر. قالت: إن فعلت أفعل، فتنصر ليتزوجها، وأقام معها في الدار، فلما كان في أثناء ذلك اليوم رقي إلى سطح كان في الدار، فسقط منه فمات، فلا هو بدينه، ولا هو بها. فنعوذ بالله، ثم نعوذ بالله من سوء العاقبة وسوء الخاتمة"⁶⁸.

مصادر المؤلف في كتاب التذكرة

اعتمد المؤلف في الكتاب على جملة من المصادر في شتى ميادين العلم، وفي مقدمتها القرآن الكريم، ثم كتب الحديث وعلومه، وكتب التفسير، وكتب الرقائق، وكتب الشمائل

⁶⁸ القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص40، و41-42.

والدلائل، وكتب التاريخ، وكتب التراجم، وكتب المغازي والسير، وكتب اللغة، ودواوين الشعر. ولكثرة هذه المصادر لم أسرد تفصيلها إلا كتب الحديث وعلومه، فأذكر أولاً كتب الحديث الستة التي هي على رأس كتب الحديث، ثم أذكر غيرها على حسب الترتيب الأبجائي كما عزا إليه المؤلف في الكتاب مع الإشارة إلى الصفحات على سبيل المثال، وهي على النحو التالي:

1- صحيح البخاري، وذلك كثير فقد نقل عنه المؤلف في أكثر من مائة موضع، منها كما في ص 8، 23، 41، 44، 54، 74، 111، 147، 164، 242.

2- صحيح مسلم، وذلك كثير أيضا فقد نقل عنه المؤلف في مواضع عديدة حوالي 150 موضعا، منها كما في ص 8، 15، 34، 35، 37، 41، 73، 86، 104.

3- سنن أبي داود، كما في ص 20، 73، 102.

4- سنن الترمذي، كما في ص 23، 53، 83، 92، 96، 112.

5- مجتبى النسائي، كما في ص 11، 20، 58، 98، 136.

6- سنن ابن ماجه، كما في ص 12، 21، 32، 37، 49، 54.

وهذه الكتب الستة قد أكثر المؤلف من النقول عنها، حيث لا يكاد تخلو صفحة من صفحات الكتاب إلا وفيها رواية أو روايتان منها، وأما غير الكتب الستة فنذكر أهمها مرتبة على حروف الهجاء:

7- الأسماء والصفات للبيهقي كما في ص 265.

8- الإبانة للوائلي، كما في ص 165.

9- الأربعين لعلي بن سليمان المرادي كما في ص 387.

10- الاستذكار لابن عبد البر، كما في ص 179، 202.

- 11- البعث لابن أبي داود، كما في ص 156، 202.
- 12- التاريخ الكبير للبخاري، كما في ص 159، 228.
- 13- تاريخ بغداد للخطيب كما في ص 328.
- 14- تفسير الثعلبي كما في ص 200، 215، 235.
- 15- تفسير الطبري كما في ص 215.
- 16- التمهيد لابن عبد البر، كما في ص 179، 181، 202، 348، 367.
- 17- التوحيد لأبي القاسم عبد الرحمن بن منده كما في ص 328.
- 18- تهذيب الآثار للطبري، كما في ص 159.
- 19- جامع بيان العلم لابن عبد البر كما في ص 200.
- 20- الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، كما في ص 596.
- 21- حسن الظن بالله تعالى لابن أبي الدنيا كما في ص 363.
- 22- حلية الأولياء لأبي نعيم كما في ص 184، 188، 190، 196، 200، 230، 265، 328، 349، 370، 376.
- 23- دلائل النبوة للبيهقي كما في ص 171، 173.
- 24- الديباج للختلي أبي القاسم إسحاق بن إبراهيم كما في ص 227، 234، 340.
- 25- الزهد والرفائق لابن المبارك كما في ص 324، 379.
- 26- زهد هناد بن السري، كما في ص 170، 176.
- 27- السابق واللاحق لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب، كما في ص 18.
- 28- سنن الدارقطني، كما في ص 92، 329، 435.
- 29- سنن الإمام الدارمي، كما في ص 448، 585.
- 30- السنن الكبرى للنسائي كما في ص 355.
- 31- شرح صحيح البخاري لابن بطال، كما في ص 650.

- 32- شرح صحيح البخاري للداودي، كما في ص 564.
- 33- صحيح ابن حبان، كما في ص 53، 432.
- 34- الضعفاء الكبير للعقيلي، كما في ص 244، 237، 430.
- 35- الطاعة والمعصية لعلي بن معبد كما في ص 215، 226.
- 36- علل الدارقطني كما في ص 199.
- 37- الغرباء لأبي بكر الخرائطي كما في ص 199.
- 38- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، كما في ص 173، 593.
- 39- الغيلانيات هي أحد عشر جزءاً، تخريج الدارقطني من حديث أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم البغدادي الشافعي. وهو القدر المسموع لأبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزاز المتوفى سنة 404هـ، فقد نقل عنه المؤلف كما في ص 393، 593.
- 40- فوائد أبي الحسن بن صخر كما في ص 225.
- 41- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، لأبي طالب المكي، محمد بن علي بن عطية المالكي الواعظ الصوفي نزيل بغداد، كما في ص 236.
- 42- الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي، كما في ص 512، 569.
- 43- كشف علوم الآخرة لأبي حامد الغزالي كما في ص 268.
- 44- الكنى لأبي أحمد الحاكم، وهو مطبوع باسم "الأسامي والكنى"، كما في ص 97.
- 45- المراسيل لأبي داود، كما في ص 89.
- 46- مسند أحمد بن حنبل، كما في ص 116، 306، 401، 615.
- 47- مسند الحارث بن أبي أسامة، كما في ص 258، 348.

- 48- مسند أبي داود الطيالسي، كما في ص 52، 76، 91، 116، 232،
319، 326، 361، 369.
- 49- مسند الأوزاعي، كما في ص 296.
- 50- مسند البزار، كما في ص 8، 56، 176، 244.
- 51- مسند الشهاب، كما في ص 572.
- 52- مسند عبد بن حميد، كما في ص 54، 116، 166.
- 53- مشكل الآثار للطحاوي، كما في ص 132، 167، 328، 589.
- 54- مصنف ابن أبي شيبة، كما في ص 23، 129، 130، 510.
- 55- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، كما في ص 130، 434، 571.
- 56- معالم السنن للخطابي، كما في ص 314، 634.
- 57- المعجم الكبير والأوسط والصغير للطبراني، كما في ص 252، 367،
279، 339، 414، 448، 496، 546، 609، 279، 339.
- 58- معرفة علوم الحديث للحاكم، كما في ص 246، 346.
- 59- موطأ مالك بن أنس، كما في ص 82، 157، 265، 270، 369.
- 60- ناسخ الحديث ومنسوخه لابن شاهين، كما في ص 18.
- 61- نوارد الأصول في معرفة أحاديث الرسول للحكيم الترمذي، كما في
ص 33، 58، 188، 200، 285، 311، 313، 325.
- هذه الكتب وغيرها مما صرح بها، وهناك كتب نقل عنها دون ذكر اسم
الكتاب.

مزايا الكتاب

يمتاز كتاب التذكرة بعدة مزايا، ومن أهمها:

- 1- أنه رتب الكتاب ترتيباً مشابهاً لترتيب الكتاب العلمي الحديث، فقسم مواده إلى أبواب، وفصول.
- 2- أكثر المؤلف من الاستدلال بالآيات والأحاديث، فاحتوى الكتاب على 1417 حديثاً مرفوعاً⁶⁹.
- 3- أنه أكثر من موارد الكتاب كما دلت عليها مصادر الكتاب سابقاً.
- 4- أنه جمع في الكتاب بين الجانب العلمي والجانب الوعظي، وذلك بجمع الأدلة في كل باب وفصل، ثم بذكر آيات وأحاديث وآثار، وحكايات وأشعار وروايات وعظية.
- 5- أنه ضم الكتاب العديد من المسائل الفقهية والعقدية التي تتعلق بالأبواب.

المأخذ على الكتاب

وقد أخذ على الكتاب بالآتي:

- 1- كثرة إيراد الأحاديث والأخبار الضعيفة بل الموضوعية.
- 2- كثرة الاستشهاد بالإسرائيليات والمنامات، بدون أن ينبه عليها في الأغلب.

المطلب الثاني: منهج المؤلف في الكتاب

طريقة المؤلف في الكتاب

تحدث المؤلف في مقدمة كتاب التذكرة عن الطريقة التي سوف يسلكها، فقال: "نقلته من كتب الأئمة، وثقات أعلام هذه الأمة حسب ما رأيتُه أو رويته، وسترى ذلك

⁶⁹ كما أحصاها الدكتور الصادق محمد إبراهيم محقق كتاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي، ج1،

منسوباً مُبَيَّنًا، إن شاء الله تعالى، وبُيِّنَتْه بَاباً بَاباً، وجعلت عَقَبَ كل بابٍ فصلاً أو فصولاً نذكرُ فيه ما يُحتاج إليه من بيان غريب، أو فقهٍ في حديث، أو إيضاح مُشكَلٍ، لِتَكْمُلَ فائدته، وتعظم مَنفعته⁷⁰.

وتفصيل هذه الطريقة من خلال واقع الكتاب كالاتي:

أولاً: طريقة المؤلف في عرض قضايا الكتاب على النحو التالي:

1- استهل المؤلف الكتاب بمقدمة، بين فيها المنهج الذي سار عليه في التأليف.

2- وزع المؤلف مواد الكتاب تحت عدد من الأبواب، وجعل لكل باب عنواناً إلا في مواقع يسيرة فترك الباب غفلاً، واكتفى بقوله: "باب" وسرد الحديث.

3- ثم سرد المؤلف في هذه الأبواب أحاديث متعلقة بها، أكثرها مجردة عن الإسناد، وخاصة إذا كان الحديث في الكتب الستة حيث يكتفي بقوله: "وفي الصحيحين أنه التَّلِيْلُ مر بامرأة...". وقوله: "روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها...". وقوله: "وفي البخاري...". وقوله: "مسلم عن أبي هريرة...". وقوله: "وأبو داود في كتاب الحروف من كتاب السنن من حديث عطية العوفي". وقوله: "الترمذي عن شداد بن أوس". وقوله: "النسائي عن أبي هريرة". وقوله: "خرجه ابن ماجه في السنن". وينقل في بعض الأحيان عن المصادر الأحاديث بأسانيدھا مثل ما قال: "وخرَجَ هناد بن السري في زهده، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن شفيق، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها...". وقوله: "ذكر الغيلاني أبو طالب قال: حدثنا أبو بكر الشافعي، قال: حدثنا محمد بن غالب، قال: حدثنا أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا روح بن القاسم، عن ابن عجلان، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: "... وأحيانا يذكر المؤلف الأحاديث بسنده هو، مثل قول: "قال الإمام القرطبي: وأنبأنا الشيخ الفقيه

⁷⁰ القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، ص7.

الإمام المحدث أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي بثغر الإسكندرية حماه الله، قال: حدثني الشيخ الصالح أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري ابن أخي الشيخ الإمام أبي بكر، قال: حدثني الشيخ الشريف أبو محمد يونس بن أبي الحسين بن أبي البركات الهاشمي البغدادي، حدثنا أبو الوقت، عن الداودي، عن الحموي، عن أبي إسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشي، عن عبد الله بن حميد الكشي، عن إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس...".

4- قد يكرر المؤلف بعض النصوص من الأحاديث، أو يختصرها في موضع، ويوردها بكمالها في موضع آخر من الكتاب، مشيراً إليها غالباً بقوله: "وسأيتي بكمالها إن شاء الله"، أو "وقد تقدم بكمالها".

ثانياً: طريقة المؤلف في شرح أو بيان الأحاديث الواردة:

أعقب المؤلف أبواب كتابه بفصل أو فصول، محققاً بذلك شرح آيات وأحاديث. متضمناً شرح معاني مفردات الحديث، وبيان لفظة غريبة، ومعنى غامض، وبيان فقه الحديث، وإيضاح مشكل ليرتفع الاشتباه ويتعين المراد.

ثالثاً: طريقة المؤلف في نقد السند والمتن:

ليس من عادة المؤلف نقد السند والمتن، ولكننا نجده تطرق في بعض الأحيان له كالتالي:

أ- نقده السند على النحو التالي: بنقل قول أئمة الجرح والتعديل. وأحياناً يتكلم في الراوي، بدون عزو إلى أحد من أهل النقد. وقد يحكم على السند، دون ذكر ذلك السند أو الراوي المتكلم فيه، بألفاظ: "إسناده لا بأس به"، "في إسناده لين"، "وإسناده منقطع"، "وإسناده صحيح"، "وإسناده صحيح ثابت"، "وفي إسناده مقال".

ب- نقده المتن: بيان علة الأحاديث الضعيفة بمخالفتها أصول الدين، أو

بمخالفتها للواقع.

خاتمة البحث:

- وفي خاتمة المطاف نود أن نسجل أهم النتائج التي توصلنا إليها، وهي:
- 1- عرفنا من خلال هذا البحث أن الإمام القرطبي اعتنى بالوعظ والنصيحة والإرشاد، وألف فيه مؤلفات، في مقدمتها كتابه "التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة".
 - 2- لاحظنا أن الإمام القرطبي جمع في هذا الكتاب الأحاديث من معظم كتب الحديث، إلا أنه لم يعتن فيه بانتقاء الأحاديث المقبولة، وإنما كان همه الأكبر جمع أكبر قدر ممكن من الأحاديث في التذكرة بالموت والقبر وأمور الآخرة، ولعل عذره فيه أن الكتاب في موضوع الموت والقبر وأمور الآخرة، وهي أمور ترقق القلوب وتزكي النفوس، وهذا باب تسامح فيه جماعة من المحدثين.
 - 3- إن المؤلف سار على المنهج الذي ذكره في مقدمة الكتاب، من أنه ينقل الأحاديث والأقوال من كتب الأئمة، وينسبها إليهم، إلا أنه لم يلتزم به في كثير من الأحاديث، فلا ينسبها إلى أحد من أئمة الحديث. ثم الأحاديث التي ينسبها إلى أئمة الحديث ليس له فيه منهج معين، فقد يذكرها بكامل أسانيد أصحابها، وأحيانا يذكرها معلقة.
 - 4- ليس من عادة المؤلف نقد السند والمتن، ولكنه تطرق في بعض الأحيان له

كالتالي:

ينقد السند بنقل أقوال أئمة الجرح والتعديل. وأحيانا يتكلم في الراوي، بدون عزو إلى أحد من أهل النقد. وقد يحكم على السند، دون ذكر ذلك السند أو الراوي المتكلم فيه، بألفاظ: "إسناده لا بأس به"، "في إسناده لين"، "وإسناده منقطع"، "وإسناده صحيح"، "وإسناده صحيح ثابت"، "وفي إسناده مقال".

وأما نقده للمتن فيكون ببيان علة الأحاديث الضعيفة بمخالفتها أصول الدين، أو بمخالفتها للواقع.

هذا ما توصلنا إليه من منهج المؤلف في الكتاب، وما يتعلق به من أمور أخرى.
وبهذا نحن نرجو أننا قد أدينا بعض حقوق المؤلف علينا.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.